سلسلة كتيبات شبكة بينونة

خطورة التحزب

الشيخ د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

خُطُورَةُ التَّحَزُّبِ

خطورة التحزب

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

البينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ آله وصحبه وسلم، أما بعد،

فمن نعم الله العظيمة علىٰ المجتمع المسلم، أن يوفق لولاة أمر صادقين مخلصين، محبين للخير، حريصين علىٰ رعيتهم، يهتمون بأمرهم، ويفرحون لفرحهم، لا يدخرون جهدًا في بناء المجتمع وتدعيم أركانه، وحفظ أمنه واستقراره، وهذا ما شهد له الواقع، ولمسته أيدي الناس في هذا البلد من قيادتنا الرشيدة وفقهم الله لكل خير.

وعرفانًا للجميل لمن بذلوا الغالي والنفيس من آبائنا المؤسسين، واتباعًا لشرعنا الإسلامي الواضح والمتين، وحفظًا لمكتسبات وطننا ودفعًا لوسائل إفسادها، ودرءًا لمحاولات الحاقدين من أصحاب الأحزاب والدعوات الغربية في بذر أصول التحزب وترويجه بين الناس، كان لزامًا علىٰ من عرف الحق بدليله، أن يجابه هذه الدعوات،

ويوعي المجتمع بخطورة التحزب، وإن زينوه وبهرجوه، فإن القرآن الكريم وسنة نبينا الكريم محمد ﷺ فيهما الذمّ والتحذير من التفرّق تحت أي مسمىٰ جاء، وبأي وصف وصفوه، فإن تحذيرنا من التحزب وبيان خطورته يدعونا إلىٰ بث روح التآلف والمودة، والسعي في الدعوة إلىٰ اجتماع الكلمة، وتوحيد القلوب، وتعزيز أواصر المجتمع؛ فيستطيع أن يصمد أمام التحديات العصرية التي تهدده بالتفرق والاختلاف، ولن يستطيع المجتمع أن يواجه هذه التحديات إلا بالاجتماع القائم علىٰ أساس قوي متين، وعن قناعة دينيّة صحيحة.

وفي هذه الوقفة اليسيرة سنبين خطورة التحزّب بما يفتح الله علينا، فنقول وبالله التوفيق:

جاء ذمّ الاختلاف في القرآن الكريم في عدد من الآيات، منها:

١/ قول الله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فأمر الله عزّ وجل بالاعتصام والاجتماع، ونهىٰ عن التفرق؛ وعدّ سبحانه الاجتماع والأُخُوة نعمةً إشارة إلىٰ أن التفرق والاختلاف نقمة.

قال الإمام ابن سعدي: **«وكون دعوىٰ المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين علىٰ دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف علىٰ الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعىٰ في شهوة نفسه، ولو أدىٰ إلىٰ الضرر العام»**.

قال الطاهر ابن عاشور:**« ثَنَّىٰ أَمْرَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ أَنْفُسِهِمْ لِأُخْرَاهُمْ، بِأَمْرِهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ حَالِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَذَلِكَ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ هَذَا الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ لِيَكْتَسِبُوا بِاتِّحَادِهِمْ قُوَّةً وَنَمَاءً»**.

٢/ قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، أي: ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ممّن لم يقع في الاختلاف. فبيّن سبحانه أن عدم الاختلاف رحمة وليس العكس.

قال الإمام الطبري: معنىٰ ذلك: «**ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم علىٰ أديان وملل وأهواء شتىٰ، إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله. وإنما قلت ذلك أولىٰ بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ففي ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار**». وهذا التفسير منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتسق مع حديث الافتراق الثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء فيه من وعيد بالنار لجميع الفرق

والأحزاب المخالفة للهدي الذي كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه عندما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كلها في النار إلا واحدة**».

فالآية فيها ذم للتحزب والاختلاف أيضًا حتىٰ بين المسلمين أنفسهم، ويؤكد هذا ما قاله الإمام الشوكاني: إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ بِالْهِدَايَةِ إِلَىٰ الدِّينِ الْحَقِّ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا، أَوْ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْحَقِّ أَوْ دِينِ الْإِسْلَامِ، بِهِدَايَتِهِ إِلَىٰ الصَّوَابِ الَّذِي هُوَ حُكْمُ اللهِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا حَقَّ غَيْرُهُ.

٣/ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١، ٣٢]. قال الإمام ابن سعدي: «**وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد**».

٤/ قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. نهىٰ الله عز وجل عن التنازع، مبينًا سبحانه أثرًا من آثاره المفضية إلىٰ ذمه؛ وهو ما يفضي إليه وينتج عنه من أمر مذموم وهو الفشل والضعف.

قال الطاهر ابن عاشور: «وَلَمَّا كَانَ التَّنَازُعُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْشَأَ عَنِ اخْتِلَافِ الْآرَاءِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُرْتَكِزٌ فِي الْفِطْرَةِ بَسَطَ الْقُرْآنُ الْقَوْلَ فِيهِ بِبَيَان سيّئ آثَارِهِ، فَجَاءَ بِالتَّفْرِيعِ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ فَحَذَّرَهُمْ أَمْرَيْنِ مَعْلُومًا سُوءُ مَغَبَّتِهِمَا: وَهُمَا الْفَشَلُ وَذَهَابُ الرِّيحِ».

قال الإمام الشنقيطي: «نَهَىٰ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ التَّنَازُعِ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ سَبَبُ الْفَشَلِ، وَذَهَابُ الْقُوَّةِ، وَنَهَىٰ عَنِ الْفُرْقَةِ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾» [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن].

ثانيًا: ذمُ الاختلاف في السنة النبوية:

١/ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « **سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلَافَهَا فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ وَقَالَ: « كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا** » » [صحيح البخاري].

٢/ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَىٰ إِلَىٰ الْيَمَنِ قَالَ: « **يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا** » [صحيح البخاري]، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتطاوع والاتفاق ونهىٰ عن الاختلاف.

٣/ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ فَإِنِّي أَكْرَهُ الِاخْتِلَافَ حَتَّىٰ يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي**» [صحيح البخاري].

والنصوص في هذا المعنىٰ كثيرة، فإذا كان النهي عن الاختلاف والافتراق في أبسط الأمور،

فالنهي عن الاختلاف المؤدي إلىٰ التحزب والتفرق إلىٰ جماعات وأحزاب فمن باب أولىٰ. ويشهد لهذا الأحاديث الآتية:

١/ ما رواه أصحاب السنن وصححه جمع من الأئمة:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: « **أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»، وورد بلفظ: « **... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي** ».

وما رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:« **كان الناس يسألون رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟**

قال: نعم.

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم، وفيه دخن.

قلت: وما دخنه؟

قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم، دعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.

فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا.

قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: يا رسول الله! فما ترىٰ إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض علىٰ أصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك ».

وفي رواية أخرىٰ لمسلم أيضـًا من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه أنه قال:

«قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟

قال: نعم.

قلت: كيف؟

قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.

قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع».

هذا بيان من النبي عليه صلوات ربي وسلامه يبين فيها حال آخر هذه الأمة، وفيها وصية واضحة وصريحة بوجوب ملازمة جماعة المسلمين وإن لم تكتمل سماتهم واستقامتهم علىٰ الدين ولا أظن أحداً ينكر هذا المعنىٰ من الحديث إلا من أراد لويه وتأويله عن ظاهره عافانا الله جميعا من ذلك.

فيوصينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالسمع والطاعة وإن صدر من الإمام الضرب وأخذ الأموال من الرعية فهل هناك أعظم ظلماً من هذا، ومع ذلك فالسمع والطاعة ولزوم الجماعة واجب.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخبر عن حال الأمة في آخرها، بما يعني أن الظلم يعم في وقتها والدين يضعف فلا يأتي آت ويقول: إنه يقصد بالإمام من كمل دينه واستقام!! فإنه سيناقض نفسه ويتهم صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث لا يدري، لأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر بأنه سيكون هناك أئمة يجتمع الناس حولهم، في زمن يضعف فيه الدين في نفوس الجميع إلا من رحم ربك وذكر من وصفهم: « **لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس -ثم قال-: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع** ».

ونحن ولله الحمد لم تصل بنا الحاجة إلىٰ الاعتزال والعض علىٰ أصل شجرة، فبفضل الله نستظل تحت ظل

جماعة شرعية معتد بها شرعا، تحت إمرة رئيس دولتنا صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان وفقه الله وألبسه لباس الصحة والعافية، وكذلك سائر بلاد المسلمين، كل دولة تمثل جماعة مستقلة من جماعات المسلمين يجتمعون حول إمامهم ورئيس دولتهم.

ولو سلمنا جدلا بعدم الاعتداد بهذه الدول، فإنه واضح من الحديث أن العمل حينها هو العكس مما ذهب إليه دعاة التحزب والانتماءات السرية الذين يسوغون الانفصال عن الجماعة المسلمة الظاهرة إلىٰ أحزاب سرية متخفية، فكان التوجيه النبوي الحكيم علىٰ العكس من ذلك؛ فقد جاء باعتزال الفرق وليس اللجوء إليها، بل يبلغ الأمر باعتزال الفرق إلىٰ درجة أن يصل الحال بالمسلم إلىٰ العض علىٰ أصل شجرة حتىٰ يدركه الموت وهو علىٰ ذلك، وهذا التشبيه من بديع قول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبليغه الذي يرشدنا إلىٰ اعتزال الفرق ومن باب أولىٰ تحريم إيجادها والترويج إليها، والسؤال الذي يطرح نفسه لدعاة التحزب:

أين موقفكم من هذا التوجيه النبوي الحكيم؟!

٢/ ومن الأحاديث الدالة علىٰ الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق والتحزب: ما جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة** » [رواه الترمذي وغيره].

وفي القرآن كثير من الآيات التي تؤكد علىٰ هذا المعنىٰ، منها قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والمعنىٰ من الآية والحديث هو لزوم جماعة المسلمين اعتقادًا وائتمارًا خلف من اجتمع الناس عليه من ولاة الأمر؛ وحينئذ فإنه لا شك أنهما يدعوان إلىٰ تعزيز مظاهر ذلك الاجتماع.

وقد بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث علة الأمر بالاجتماع،

والنهي عن الفرقة، فقال: ﴿ **فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد** ﴾، قال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«**فإن الشيطان مع الواحد، يُضِلُّه ويغويه ويَعِدُه ويُمنيه. وهو من الاثنين أبعد، فكيف من كان مع الجماعة**».

فالشيطان إذا خلا بالإنسان يوشك أن يوسوس فيه ويوقعه في الفتن، لا سيما في هذا الزمن، حيث كثرت الفتن وتنوعت، فمنها فتن الشهوات، التي يقع بسببها الشباب في المحرمات، كالمخدرات ونحوها من المعاصي، ومنها الفتن التي تشكك في المعتقد الصحيح كما في قضايا السمع والطاعة والاجتماع ونبذ التفرق، وتنفر من ولاة الأمر فيصيروا لقمة سائغة للأفكار الدخيلة والآثمة التي تكفِّر المجتمعات وتستحل دماء المسلمين الآمنين وأموالهم، فكم هي فرصة سانحة لمن يتربص بأمن دولتنا واستقرارها في أن ينفرد بمن ينعزل عن المجتمع فيغذيه بالأفكار الإرهابية المنحرفة؛ وكم أن للاجتماع والتآلف سبيل لقطع دابر هؤلاء المفسدين.

وحيث كان الاجتماع بهذا النفع والمردود الحسن علىٰ المجتمع، فإن النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أكد حتمية هذا الاجتماع بغاية عظيمة وعاقبة حميدة يرجوها كل مسلم، ألا وهي دخول الجنة كما في الحديث المتقدم: «**من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**»، قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُٱللَّهُ: «**والمراد أن لزوم الجماعة سبب الكون في بحبوحة الجنة لأن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلىٰ النار كما ثبت في الحديث**».

أسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يحفظ لنا ديننا ودنيانا، وأمننا واستقرارنا خلف رئيس دولتنا وأن يمن عليه بالعافية. وأن يقينا شرّ الأحزاب ودعاتها.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

والحمد لله رب العالمين

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية